امرؤ القيس بن حُجْر:
رحلته إلى الشرق أو إلى الغرب؟
"القسم الثاني"

د. ليلى توفيق العمري
الأستاذ المساعد في قسم اللغة العربية
الجامعة الهاشمية

وأما المقطوعة الأولى فهي السادسة والأربعون في الديوان[1]، وعدد أبياتها ثمانية، وقد تفرَّد بها المفضّل الضبّي فلم يشاركه الأصمعي في روايتها[2]، "ويغلب على الظن أنها بقايا قصيدة، لأنها بلا مقدمة طللية، وغير مصرعة"[3]، ويبدو أنه نظمها بعد القصائد الثلاث السابقة، عند وفاته بأنقرة[4]، لأنها تعكس نفس امرىء القيس وتصوّر حاله وهو يصارع الموت، فلا يملك له دفعاً، ولا يستطيع له ردّاً، فهو يتمنى أن يعلم قومه بحاله ومرضه، فقد ذوى جسده، وأنهكت روحه، وتلاشت آماله، وذهبت أمانيه، وتلك حال البشر، فما زعم لنفسه يوماً أنه خلق من حجر أو حديد. هلك بأرض الروم بعيداً عن أرضه وقومه،

---

(1) ص: ٢١٣-٢١٤، وهي الحادية والأربعون في مخطوطة الطوسي (فيما قرأه الطوسي على ابن الأعرابي من رواية المفضّل)، والسادسة والخمسون في مخطوطة السكري، والرابعة والثلاثون في مخطوطة ابن النحاس، والسابعة في مخطوطة أبي سهل. وانظر شرح ديوان امرىء القيس: ٧٨، تاريخ اليعقوبي ١: ٢٢٠، امرؤ القيس حياته وشعره: ١٠١-١٠٢، امرؤ القيس شاعر المرأة والطبيعة: ٢٠٣، امرؤ القيس الملك الضليل: ١٣٣-١٣٤، شعراء النصرانية ١: ٣٤-٣٥.

(2) رواية المفضّل من نسخة الطوسي مما لم يروه الأصمعي.

(3) امرؤ القيس حياته وشعره: ١٠١.

(4) انظر ديوان امرىء القيس: ٢١٣، شعراء النصرانية ١: ٣٤.

ولو أنه مات في أهله وعلى فراشه لتعزّى بذلك وقال: الموت حقّ ولستُ بمخلّد، ولكن أصابه هذا في بلاد الغربة، فكأنه في نفسه مات قبل ميتته. ولو جاد بنفسه بينهم للقي المنية مطمئناً في "أُسَيْس"(١) أو "زرود"(٢) مؤمناً بأن الموت حق.

لقد شقي بآماله العِظام يطلب كل يوم ملكاً كملك قيصر، ومَنْ كانت له مثل هـذه الآمـال، وعلى حاله من المرض فحريٌّ بالموت أن يتعقبه في كل خطوة يخطوهـا فـي تلك الديار، حيث لا يوجد فيها قريب يواسيه، ولا مَنْ يداويه، أو يعوده في مرضه.

ألا أَبْلِـغْ بَنِـي حُجْـرِ بـن عمرٍو ... وأَبْلِـغْ ذلـك الحـيَّ الْحَـرِيدَا
بأنّـي قَـدْ بَقِيـتُ بقـاءَ نَفْـسٍ ... ولـم أُخْلَـقْ سـلاماً أو حَدِيـدَا
فَلَـوْ أنّـي هَلَكْـتُ بـدارِ قَوْمـي ... لَقُلْـتُ المـوتُ حَـقٌّ لا خُلُـودَا
ولَكِنِّـي هَلَكْـتُ بـأَرْضِ قَـوْمٍ ... بَعِـيدٍ مِـنْ دِيَـارِكمُ بَعِـيدا
أُعَـالِجُ مُلْـكَ قَيْصَـرَ كُـلَّ يَـوْمٍ ... وأجـدِرْ بالمنـيّةِ أن تَعُـودا
بِـأَرْضِ الـرُّومِ(٣) لا نَسَـبٌ قَرِيبٌ ... وَلا شَـافٍ فَيُسْـنِدَ أوْ يَعُـودا
ولَـوْ وَافَقْتُهـنَّ عَلَـى أُسَـيْسٍ ... ضُـحَيّاً أو وَرَدْنَ بِـنا زَرُودا
عَلَـى قُلُـصٍ تَظَـلُّ مُقَلَّـدَاتٍ ... أَزِمَّتُهـنَّ مـا يَعْدِفْـنَ عـودا

---

(١) أسيس: موضع بالشام. معجم ما استعجم: ١٥٢.

(٢) زرود: جبل رمل، وهو بين ديار بني عَبْس وديار بني يَرْبُوع. المصدر السابق: ٦٩٦.

(٣) فـي: تـاريخ اليعقوبي وامرؤ القيس شاعر المرأة والطبيعة وشعراء النصرانية: "بأرض الشَّأم".

والمقطوعة الثانية بأربعة أبيات، انفرد السكّري بروايتها، وترتيبها الثمانون في الديوان[1]، قالها الشاعر بأنْقِرة يذكر علّته، وهي صريحة الدلالة على موت امرىء القيس بالداء الذي أصابه من جهة، وتنقض جميع الأقوال التي نسجت عن موته بالحلّة المسمومة من جهة أخرى؛ فهو يشير في بيت واحد فيها إلى الطلل ينتقل منه مباشرة إلى الحديث عن القروح التي أصابته وأنهكت جسده، كما لو كان مصاباً في مفاصله، وتكاثرت حتى أوهنت قواه، وشلّت حركته، وأعجزته عن متابعة المسير عائداً إلى دياره، فصار والحالة هذه يرى كل ثوب يلبسه، ولو كان جديداً يرتديه للمرة الأولى، قديماً خلقاً قد لُبس دهراً، وانتشرت القروح على جلده، وملأت جسده كأختام نقشت متراصة على صحيفة.

ويبدو الشاعر في المقطوعة أنه وصل إلى درجة كبيرة من الوهن والعجز، لم يستطع معهما أن يصف داءه بأكثر مما وصف، وتظل هذه المقطوعة – والقصيدة الثانية– خير شاهد على اللحظات الأخيرة في حياة شاعرنا، وعلى معاناته من المرض. ولكن يبقى السؤال: ما هو الداء الذي أصابه، وظهرت أعراضه عليه على النحو الذي ذكره، هل هو داء جديد أصابه في تلك الديار، أو أنه عدوى انتقلت إليه من الطمّاح الأسدي، أو أن الداء القديم عاوده، أو أن السم تفشّى في جسده، وتخلل مسامات جلده فأحدث تلك القروح؟

لِمَنْ طَلَلٌ دَاثِرٌ آيُهُ ... تَقَادَمَ فِي سَالِفِ الأَحْرُسِ
فإمّا تَرَيْنِيَ بِي عُرَّةٌ ... كأنِّي نَكِيبٌ مِنَ النِّقْرِسِ
وَصَيَّرَنِي القُرْحُ فِي جُبَّةٍ ... تُخَالُ لَبِيساً وَلَمْ تُلْبَسِ
تَرَى أَثَرَ القُرْحِ فِي جِلْدِهِ ... كَنَقْشِ الخَوَاتِمِ فِي الجِرْجِسِ

---

(١) ص: ٣٣٩، وهي العشرون في مخطوطة السكّري. وانظر امرؤ القيس حياته وشعره: ١٠٢، شعراء النصرانية ١: ٥٠.

وانفـرد السـكّري بـرواية الأبـيات التالية، وهي الرابعة والتسعون في الديوان[1]، قالها وهو يحتضر حين حضرته الوفاة بأنقرة.

رُبَّ طَعْـــــنَةٍ مُثْعَـــــنْجِرَهْ
وجَفْـــــنَةٍ مُتَحَـــــيِّرَهْ
وقَصِـــــيدةٍ مُحَـــــبَّرَهْ
تَـــــبقَى غَـــــداً بأَنْقِـــــرهْ

وقال ابن الكلبي[2]: "هذا آخر شيء تكلّم به، ثم مات".

وزاد أبـو سهل في مخطوطته البيتين التاليين، وترتيبهما السابع والتسعون في الديوان[3]؛ قالهما عند موته:

أجارتَـــنا إنَّ المَـــزارَ قريـــبُ وإنِّـــي مُقِـــيمٌ مـــا أَقـــامَ عَسِـــيبُ
أجارتَـــنا إنَّـــا غَرِيـــبانِ هَاهُـــنا وكُـــلُّ غَرِيـــبٍ للغَرِيـــبِ نَسِـــيبُ

---

(١) ص: ٣٤٩، وانظر ص: ٧ ليست له، وإنما قال الأصمعي في نسبتها: "وفيه يقول القائل"، الشـعر والشعراء: ٥٣، ٦٣، الأغاني ٩: ١٠٠، معجم ما استعجم: ٢٠٤، معجم البلدان ١: ٣٢٢، الكـامل فـي التاريخ ١: ٥١٩، امرؤ القيس لسليم الجندي: ٢٥، امرؤ القيس حـياته وشـعره: ١٠٣، شعراء النصرانية ١: ٣٤ باختلاف في رواية الألفاظ فيها، وفي عدد الأبيات.

(٢) الشعر والشعراء: ٥٣.

(٣) ص: ٣٥٧، وهمـا الـثلاثون فـي مخطوطة أبي سهل. وانظر الشعر والشعراء: ٦٣، الأغانـي ٩: ١٠١، الكـامل فـي التاريخ ١: ٥١٩، المختصر في أخبار البشر ١: ٧٥ (البيت الأول)، البداية والنهاية ١: ٢٠٤، امرؤ القيس حياته وشعره: ١٠٣، امرؤ القيس الملك الضلّيل: ١٣٥-١٣٦، شعراء النصرانية ١: ٣٤.

ويذكـــر الـــرواة في مناسبتهما أنه رأى قبراً لامرأة من بنات ملوك الروم[1] هلكت بأنقرة، فدفنت في سفح جبل يقال له عَسيب، فسأل عنها، فخبِّر بخبرها؛ فقال البيتيـــن ثم مات[2]. وهو احتمال قائم إلاَّ أن مضمونهما لا يدل على ذلك، "ويمكن لأي غريب في أية رحلة أن يستشعر الغربة فيـــجري على لسانه مثل هـــذا الشعر إبداعاً وتمثلاً"[3]، وربما كانا من قصيدة وليسا بمنفردين[4].

ويـــروي له أبو سهل عند موته أيضاً بيتين ترتيبهما الثامن والتسعون في الديـــوان[5]، يذكـــر فـــيهما أن الداء تمكّن منه وليس يبرحه حتى دعا على نفسه بالموت.

لَقَـــدْ دَمَعَـــتْ عَيْنايَ في القَرِّ والقَيْظِ وهَـــلْ تَدْمَعُ العَيْنانِ إلاَّ مِنَ الغَيْظِ!
فلمّـــا رأيْـــتُ الشَّـــرَّ لَـــيْسَ ببارِحٍ دَعَـــوْتُ لنَفْســـي عِـــنْدَ ذلك بالفَيْظِ

---

(١) انظر الحاشية السابقة، وفي الأغاني ٩:١٠٠، وشعراء النصرانية: "امرأة من أبناء الملوك".

(٢) انظر ما ذكرناه سابقاً في القسم الأول من البحث.

(٣) قال صخر بن عمرو بن الشريد – أخو الخنساء– لمَّا أدركه الموت:

أَجارَتَـــــنَا إنَّ الخُطُـــــوبَ تَـــــنُوبُ على الـــناسِ، كُلُّ المُخْطِئينَ مُصِيبُ
أَجارَتَـــــنَا إنْ تَسْـــــأليني فإنَنِـــــي مُقِـــيمٌ لَعَمْـــرِي مـــا أقـــامَ عَسِـــيبُ

انظـــر ديـــوان الخنســـاء: ٣٦٣-٣٦٤، والحاشـــية رقم (٥)، معجم ما استعجم: ٩٤٣، امرؤ القيس الملك الضليل: ١٣٥-١٣٦، الحاشية رقم (٦).

(٤) انظـــر ديوان امرىء القيس: ٤٥٤، امرؤ القيس حياته وشعره: ١٠٣، امرؤ القيس الملك الضليل: ١٣٥-١٣٦.

(٥) ص: ٣٥٧، وهما الحادي والثلاثون في مخطوطة أبي سهل.

تلك هي رحلة امرىء القيس التي ظفرنا بها من شعره، والتي صوّرتها القصائد والمقطوعات السابقة تصويراً أدقّ من تصوير الرواية والأخبار لها، فقد عرفنا منها نفسية صاحبها المتأرجحة بين اليأس والأمل، والديار التي مرّ بها في الجزيرة العربية والشام، والطرق التي سلكها فيهما، والمتاعب التي واجهته، وحفاوة الملك الرومي به، ثم مرضه وموته في تلك البلاد في طريق عودته إلى دياره، وغير ذلك من الأخبار التي حصلنا عليها من هذا الطريق، وهي على وفرتها من ناحية، وإيجازها من ناحية أخرى، أضافت إلى رصيدنا عن رحلة هذا الشاعر ما كان ينقصنا من الأخبار التي زوّدتنا بها الرواية العربية، والتي كان يلفّ بعضها الأسطورة والخرافة. ومع ذلك فقد كانت أمنياتنا من تحليل هذا الشعر أن نقف على الطرق التي سلكها امرؤ القيس، والمواضع التي مرّ بها أو نزل فيها خارج الشام حتى وصل إلى عاصمة الروم، وهذا ما لم يتحقّق لنا أبداً.

فإذا كان شعر امرىء القيس – وكذلك شعر عمرو بن قميئة– على قلّته في هذه الناحية، قد دلّ في مضمونه على الدافع من هذه الرحلة، وعلى تنقل الشاعر في بعض الأماكن حتى وصل إلى بلاد الروم، وإذا كان المحوَر الأول قد أفضى إلى المحور الثاني واتسق معه في الوصول إلى نتيجة واحدة، وهي بيان الجهة التي اتجهها امرؤ القيس في سفره إلى قيصر ملك الروم. فإذا كان الأمر كذلك فإن في الكتب الجغرافية ما يناقض هذه النتيجة ويشكّك فيها من جهة، وفيها ما يؤكّدها ويثبت صحّتها من جهة أخرى، وهذا ما يتضمّنه حديثنا في المحور الثالث.

(٣)

فقد مرَّ في شعر عمرو بن قميئة أنه لمَّا خرج مع امرىء القيس إلى بلاد الروم، ورأى "ساتِيدَمَا" حنَّ إلى بلاده فبكى. وقد اختلف الجغرافيون والمؤلّفون العرب في وصف "ساتِيدَمَا" وتعيين طبيعته، كما اختلفوا في موقعه[1]؛ فمنهم مَنْ ذهب

---

(١) واختلف كثير منهم في كتابته؛ فكُتِبَ: "ساتِيدَمَا"، و "ساتي دما"، و "ساتيدا" بحذف الميم، و "ساتي دا"، و "ساتِيدْ" بحذف الميم والألف، و "ساتيدماء" بالمدّ، و "ساآتِيدَمَى". وذلك عندما وصفوا "ساتيدما" واستشهدوا ببيت عمرو بن قميئة عليه، وفسّروه، وببيت الأعشى وأبي نواس وأبي النجم وابن مفرّغ، وعندما وصفوا بعض المواضع والأماكن التي يتصل وصفها بالحديث عن "ساتيدما". وللجغرافيين واللغويين تعليلات في ذلك.

- ساتِيدَمَا: والكلام على ساتيدما قد أجاد فيه ياقوت الحموي (معجم البلدان ٣: ١٨٩)-ونقله عنه البغدادي في خزانة الأدب (٤: ٤٠٩)- فقال: "ساتِيدَما: بعد الألف تاء مثناة من فوق مكسورة، وياء مثناة من تحت، ودال مهملة مفتوحة ثم ميم، وألف مقصورة، أصله مهمل في الاستعمال في كلام العرب، فإمَّا أن يكون مرتجلاً عربياً لأنهم قد أكثروا من ذكره في شعرهم، وإمَّا أن يكون عجمياً". (وقد وَرَد "ساتيدما" على هذا النحو في: ديوان عمرو بن قميئة: ١٨٢، ديوان البحتري: ١٤٥٧، الموشح: ٧١، شرح أبيات سيبويه ١: ٣٦٧-٣٦٨، الأزمنة والأمكنة ٢: ٣٠٩، فرحة الأديب: ٨٦، ٨٧، معجم ما استعجم: ١٠، ٧١١، ١١٤٢، الإنصاف: ٤٣٢، معجم البلدان ٢: ٥٠٢، ٥١١، ٣: ١٨٩، ١٩٠، التكملة ٦: ٤١٥، مراصد الاطلاع: ٦٨١، خزانة الأدب ٤: ٤٠٦-٤١١، تاج العروس (ليبيا): دما).
- ساتي دما: قال ياقوت في مادة " ساتيدما" (معجم البلدان ٣: ١٨٩-١٩٠): "سمّي بذلك لأنه ليس من يوم إلا ويُسفك فيه دم، كأنه اسمان جعلا اسماً واحداً ساتي دما، وساتي وسادي بمعنى، وهو سدَّى الثوب، فكأن الدماء تُسدَّى فيه كما يسدَّى الثوب". (انظر أيضاً: الصحاح: دما، لسان العرب: دمي، خزانة الأدب ٤: ٤٠٩). وقد استشهد الجوهري وابن منظور ببيت عمرو بن قميئة والأعشى على النحو التالي:

قال عمرو بن قميئة:

لمَّا رأَتْ ساتِي دَمَا اسْتَعْبَرَتْ ... لِلَّهِ دَرُّ اليَوْمَ مَنْ لامَهَا

وقال الأعشى:

وهِرقْلاً يَوْمَ ذِي ساتِي دَمَا ... مِنْ بَنِي بُرْجَانَ ذِي البَأْسِ رُجُحْ

- ساتيدا: قال الزبيدي (تاج العروس (الكويت): ستد): "أهمله الجماعة"، وقال صاحب القاموس المحيط: (ستد): وهو "في قول يزيدَ بن مفرِّغ:

فَذَيْرُ سُوَى فَساتِيدَا فَبُصْرَى ... فَحُلْوانُ المَخَافَةِ فالجِبالُ

اسم جبل، أصلُهُ: ساتيدما، حذف الشاعرُ ميمَهُ، فينبغي أن يُذْكَر هنا، وينبَّه على أصله".

وقال الزبيدي (تاج العروس (الكويت): ستد): "قال شيخُنا: وكلامهم صريح في أنه أعجميُّ اللفظ والمكـــان، فـــلا تُعْـــرَفُ مادَّتُـــه ولا وَزْنُه. والشعراء يتلاعبون بالكلام، على مقتضَى قرائحِهم وتصرُّفاتهم، ويَحذفون بحسَب ما يَعْرِض لهم من الضَّرائر، كما عُرِفَ ذلك في مَحلّه، فلا يكون في كلامهم شاهدٌ على إثبات شيء من الكلمات العَجَمية.

وقوله: ينبغي أن يذكر هنا إلى آخره، بناءً على أن وزنَه فاعِلَ ما، وأن مادّته: ستد. وليس الأمر كذلك بل هذه المادةُ مهملةٌ في كلامهم، وهذه اللفظةُ عجميةٌ لا أصلَ لها، وذِكْرُها إن احتاج إليها الأمرُ، لوُقوعها في كلام العرب، ينبغي أن يكونَ في الميم، أو في باب المعتلّ، لأن وزنَها غيرُ معلـــوم لـــنا، كأصْـــلِها، على ما هو المقرَّرُ المصرَّح به في كلام ابن السرَّاج وغيرِه من أئمة الاشتقاق، وعلماء التصريف".

وقال في موضع آخر من التاج (ليبيا): (دما): "قلت فهذا موضع ذِكْره كما فعله الجوهري وغيره من الحذّاق، والمصنف أورده في س ت د نظراً إلى ظاهر لفظه مستدركاً به على الجوهري مع أن الجوهـــري ذكـــر ساتيدما هنا فقال: وقد حذف يزيد بن مفرّغ الحميري منه الميم في قوله:

* فدير سُوَى فساتيدا فبصرى*".

(وانظر بالإضافة إلى ما سبق: شعر ابن مفرغ: ١٢٢، الصحاح: دما، خزانة الأدب ٤: ٤١٠).

- ســـاتي دا: ذكر صاحب اللسان: (دمي) بيت ابن مفرّغ الحميري السابق مستشهداً به على حذف ميم "ساتيدما" على هذا النحو: "ساتي دا".
- ســـاتِيدَ: وذكره ابن منظور أيضاً في المصدر السابق: (سوا) دون ميم وألف، فقال: "وأنشد ابن بري لابن مفرّغ: * فَدَيْرُ سُوَى فَسَاتِيدَ فَبُصْرَى* ".
- ســـاتيدماء: قـــال ياقوت في " ساتيدما" (معجم البلدان ٣: ١٩٠): "وقد مدَّه البحتري فقال (ديوان البحتري: ١٣٥٧):

ولمَّـــا اسْـــتَقَلَّتْ فـــي جَلُـــولاَ دِيَارُهُمْ فَـــلاَ الظَّهْرُ مِنْ سَاتِيدَمَاءَ ولا اللِّحْفُ"

(وانظر خزانة الأدب ٤: ٤٠٩). ورواية الديوان: اسْتَقَرَّتْ.(جلولا، قال ياقوت (معجم البلدان ٢: ١٨١): جَلُـــولاء، بـــالمدّ طسُّوج من طساسيج السواد في طريق خراسان. واللِّحف: صُقع معـــروف من نواحي بغداد سمِّي بذلك لأنه في لحف جبال همذان ونهاوند وتلك النواحي وهو دونها مما يلي العراق). (المصدر السابق ٥: ١٦).

ويقـــول البكري (معجم ما استعجم: ٧١٢): "ورأيتُ البُحْتُريّ قد مَدَّه، فلا أعلم ضرورةً أم لُغَةً، والبحتريُّ شديد التوقِّي في شعره من اللحن والضرورة". (وانظر خزانة الأدب ٤: ٤١٠).

وذكره البحتري أيضاً بغير مَدّ، فقال (ديوانه: ١٤٥٧):

ســـاتِيدَمَا، وسُـــيُوفُنَا فـــي هَضْـــبِهِ يَفْـــرِي "إيـــاسٌ" بهـــا الطُّلَى والسُّوقَا

(الطُّلَى: الأعناق واحدتها الطلية والطلاة. والسوق: جمع الساق. يفري: يقطع ويشق. إياس: هو إياس بن قبيصة الطائي من شجعان طيّىء).

- سَاتِيدَمَى: ديوان الأعشى: ٢٣٩.

إلـــى أنـــه قصرٌ من قصور السواد[1]، ومنهم من ذهب إلى أنه واد ينصبّ إلى نهـــر بين آمِد[2] ومَيَّافارِقِينَ[3] ثم يصبّ في دجلة[4]، وفريق ثالث ذهب إلى أنه نهر[5]، وفريق رابع ذهب إلى أنه جبل[6].

أمـــا مَنْ ذهب إلى أن "ساتيدما" قصر من قصور السواد، فقد استدلّ على ذلك بقول أبي النَّجْم يذكر سَكْرَ خالدٍ القَسْريِّ لدجلة:.

---

(١) معجم ما استعجم: ٧١١، خزانة الأدب ٤: ٤١١.

(٢) "آمِـــدُ: بكسر الميم، وما أظنُّها إلا لفظة رومية، ولها في العربية أصل حسن... وهي أعظمُ مُدُن ديار بكر وأجلُّها قدراً وأشهرها ذكراً... وهو بلد قديم حصين ركين مبني بالحجارة السّود على نَشـــز دجلـــة محيطة بأكْثره مستديرة به كالهلال، وفي وسطه عيون وآبار قريبة نحو الذراعَين، يُتَـــناول ماؤهـــا باليد، وفيها بساتين ونهر يحيط بها السور" (معجم البلدان ١: ٧٦). وفي تقويم البلدان: ٢٨٧: أن آمِدَ "على غربي دجلة".

(٣) مَيَّافارِقِيـــن: "أشـــهر مديـــنة بديار بكر، قالوا: سمّيت بميّابِنْت لأنها أول من بناها، وفارقين هو الخلاف بالفارسية يقال له بارجين، لأنها كانت أحسنت خندقها فسميت بذلك، وقيل: ما بُني منها بالحجـــارة فهو بناء أنوشروان بن قباذ وما بُني بالآجر فهو بناء أبرويز... وقال صاحب الزيج: ... والذي يُعتمد عليه أنها من أبنية الروم لأنها في بلادهم، وقد ذكر في ابتداء عمارتها أنه كان في موضع بعضها اليوم قرية عظيمة وكان بها بيعة من عهد المسيح وبقي منها حائط إلى وقتنا هذا..." .(معجم البلدان ٥: ٢٧٣).

(٤) مراصد الاطلاع: ٦٨١، وانظر معجم البلدان ٢: ٥٠٢، ٣: ١٩٠، خزانة الأدب ٤: ٤١٠، تاج العروس (الكويت): (ستد).

(٥) معجم البلدان ٣: ١٩٠، مراصد الاطلاع: ٦٨١، خزانة الأدب ٤: ٤١٠، تاج العروس (الكويت): (ستد).

(٦) شرح أبيات سيبويه ١: ٣٦٨، الصحاح: (دما)، فرحة الأديب: ٨٧، تحصيل عين الذهب ١:٩١، معجـــم مـــا اســـتعجم: ٧١١، ١١٤٢، معجم البلدان ٢: ٥١١، ٣: ١٨٩، ١٩٠، لسان العرب: (دمـــي)، مراصد الاطلاع: ٦٨١، القاموس المحيط: (ستد)، خزانة الأدب ٤: ٤٠٧-٤١١، تاج العروس (ليبيا): (دما) وطبعة (الكويت): (ستد).

فَلَـمْ يَجِـئْها المَـدُّ [1] حـتى أحْكَمَا سِـكْراً [2] لها أعْظَمَ من سَاتِيدَما

ويردّ البغدادي على هذا القول؛ فيقول: "ولا يخفى أنه ليس في قول أبي النجم ما يعيِّن كونه قصراً، ولا مانع من أن يحمل على معنى الجبل".

وأمـا الآراء الأخـرى التي قيلت في وصف "ساتيدما" وتعيين طبيعته فإن حديثـنا عنها سيكون حديثاً واحداً يشملها جميعها في آن؛ فقد قال البكري فيه[3]: "ساتِيدَما: هو جبل متّصل من بَحْر الروم إلى بَحْر الهند".

وقال ياقوت[4]: "قال العِمراني: هو جبل بالهند لا يعدم ثلجه أبداً، وأنشد:

وأبـردُ مِـنْ ثَلْـجِ سـاتِيدَما، وأكـثرُ مـاءً مِـنَ العِكْـرِشِ

وقال غيره[5]: سمّي بذلك لأنه ليس من يوم إلاّ ويُسفك فيه دم".

وقـال أبو عبيدة[6]: "ساتيدما جبل يذكر أهل العلم أنه دون الجبال من بحر الروم إلى بحر الهند".

---

(١) في خزانة الأدب: "المرءُ".

(٢) السِـكر، بالكسـر: العَرِم والمُسَنَّاة، وهي السدّ يقام في مجرى النهر لحجز المياه. لسان العرب: (سكر)، (عرم).

(٣) معجم ما استعجم: ٧١١، وانظر خزانة الأدب ٤: ٤١١.

(٤) معجم البلدان ٣: ١٨٩، وانظر خزانة الأدب ٤: ٤٠٩.

(٥) معجـم البلدان ٣: ١٨٩، وانظر الصحاح: (دما)، تحصيل عين الذهب ١: ٩١، معجم ما اسـتعجم: ٧١١، لسـان العـرب: (دمي)، خزانة الأدب ٤: ٤٠٩، ٤١١، تاج العروس (ليبيا): (دما).

(٦) معجم البلدان ٣: ١٩٠.

وقيل في المراصد[1]: إن "ساتيدما"، "جبل بالهند"، فقط.

وقـال البكري عن محمد بن سهل في رسم الكوفة[2]: "سُمِّيت الكُوفة، لأن جبل سَاتِيدَمَا محيطٌ بها كالكِفَافَةِ عليها".

وقـال فـي موضع آخر عن ابن الكلبي[3]: "وتهامة: ما ساير البحر، منها مكـةُ والعِـبْرُ والطُّورُ والجزيرة. فالعِبْرُ: ما أخذ على الفرات إلى بَرِّيَة العرب. والطُّورُ: ما بين دِجْلَةَ وساتِيدَمَا".

ويعود ياقوت فيقول[4]: "وساتيدما: جبل بين مَيَّافارِقِين وسَعَرْت [5]"، وذلك عند استشهاده بأبيات عمرو بن قميئة السابقة، ثم يورد بيتاً للأعشى يقول فيه[6]:

" وهِـرَقْلاً يَـوْمَ ذِي سَـاتِيدَمَا مِـنْ بَنِي بُرْجانَ ذِي البَاسِ رَجَحْ[7]

---

(١) مراصد الاطلاع: ٦٨١، وانظر تاج العروس (الكويت): (ستد).
(٢) معجم ما استعجم: ١١٤٢.
(٣) المصدر السابق: ١٠.
(٤) معجم البلدان ٣: ١٩٠، وانظر فرحة الأديب: ٨٧، خزانة الأدب ٤: ٤٠٧، تاج العروس (ليبيا): (دما) وطبعة (الكويت): (ستد).
(٥) لم أعثر على رسمها.
(٦) ديـوان الأعشى: ٢٣٩. يمدح إياس بن قبيصة الطائي، ويروى: "يوم سَاآتِيدَمَى"، و " في البَأْس".
(٧) هرقل: آخر ملوك الروم في القسطنطينية قبل الإسلام، وكانت هجرة النبي لسبع سنين من ملكـه، وهـو الذي أخذ المسلمون الشام منه، وهو يشير إلى استرجاعه للشام من الفرس بعـد أن ملكوهـا ثـم غـزوه لهـم. انظر تاريخ الطبري ١: ٦٠٦، ٦٠٨، ٢: ٦٤٤، ٦٤٥-٦٤٦. ساتيدما: في الصحاح: (دما)، لسان العرب (دمي) ورد هكذا: "ساتي دما". بـنو بُرْجان: جنس من الروم. انظر القاموس المحيط: (برج). الباس: الحرب، وقد جاء هـنا دون همـز. رَجَـح: ورد فـي الصحاح: (دما)، التكملة ٦: ٤١٥: "رُجُح". وقال الصـغاني (ص: ٤١٦): "والروايةُ في الناس بالنون، ويروى "رَجَحٌ" بالتحريك، أي رَجَح عليهم".

وقد حذف يزيد بن مفرّغ ميمه فقال[1]:

فديرُ سُوَى فساتِيدَا فبُصرَى"

ويخطِّـــئُ العِمْرانـــيَ؛ فيقول[2]: "قلت: وهذا يدلّ على أن هذا الجبل ليس بالهند وأن العِمرانـــي وهِـــمَ، وقد ذكر غيره أن ساتيدما هو الجبل المحيط بالأرض[3]، مـــنه جبل بارِمًّا وهو الجبل المعروف بجبل حُمْرين وما يتصل به قرب الموصل والجزيـــرة وتلـــك النواحي[4]، وهو أقرب إلى الصحة، والله أعلم، وقال أبو بكر الصولي في شرح قول أبي نواس[5]:

ويَوْمَ سَاتِيدَما ضَرَبْنَا بَنِي الأَصْـــ ـــفَرِ والمَوْتُ في كَتَائِبِها

قـــال: ســـاتيدما نهر بقرب أرزَن[6] وكان كسرى أبرويز وجّه إياس بن قبيصة الطائي لقتال الروم بساتيدما فهزمهم فافتخر بذلك، وهذا هو الصحيح، وذِكْره في بلاد الهند خطأ فاحش[7]، وقد ذكر الكسرويُّ – فيما أوردناه– في خبر دجلة عن

---

(١) شـــعر ابـــن مفرغ:١٢٢، وتمامه: * فحُلوانُ المخافةِ فالجبالُ* ويروى الصدر فيه: "فديرُ سَـــوَى" دون تنوين، وكذلك في القاموس المحيط: (ستد)، وخزانة الأدب ٤: ٤١٠، وتاج العروس (الكويت): (ستد). وضبط بالتنوين (سُوَى) في: الصحاح: (دما)، ومعجم البلدان ٣: ١٩٠، ولسان العرب: (دمي)، (سوا).

(٢) معجم البلدان ٣: ١٩٠، وانظر خزانة الأدب ٤: ٤١٠-٤١١.

(٣) انظر مراصد الاطلاع: ٦٨١، تاج العروس (الكويت): (ستد).

(٤) مراصد الاطلاع: ٦٨١.

(٥) انظر ديوان أبي نواس: ٨٧.

(٦) انظـــر مراصد الاطلاع: ٦٨١، تاج العروس (الكويت): (ستد). وأرزَنُ الرُّوم: بلدة من بلاد إرمينية، أهلها أرمن. (معجم البلدان ١: ١٨١).

(٧) انظر مراصد الاطلاع: ٦٨١.

المَرْزُباني عنه[1] فذكر نهراً[2] بين آمد وميَّافارقين ثم قال: ينصبّ إليه وادي ساتيدما[3] وهو خارج من درب الكِلاب[4] بعد أن ينصبّ إلى وادي ساتيدما وادي الزُّور[5] الآخذ من الكَلْك، وهو موضع ابن بقراط البطريق من ظاهر إرمينية، قال: وينصبّ أيضاً من وادي ساتيدما نهر ميَّافارقين، وهذا كلّه مخرجه من بلاد الروم، فأين هو والهند؟ يا لله للعجب! وقول عمرو بن قمئةَ[6]: لمَّا رأت ساتيدما، يدل على ذلك لأنه قاله في طريقه إلى ملك الروم حيث سار مع امرىء القيس...".

---

(١) قال ياقوت عن المرزباني في رسم دجلة (معجم البلدان ٢:٥٠٢): "وأول نهر ينصبّ إلى دجلة يخرج من فوق شِمْشاط بأرض الروم يقال له نهر الكِلاب، ثم أول واد ينصبُّ إليه سوى السواقي والرواضع والأنهار التي ليست بعظيمة وادي صَلْب، وهو واد بين ميَّافارقين وآمد، قيل: إنه يخرج من هَلُورَس، وهلورس الموضع الذي استشهد فيه عليُّ الأرمني، ثم ينصبُّ إليه وادي ساتِيدَما وهو خارج من درب الكِلاب..." إلى نهاية النصّ.

(٢) هو واد وليس نهراً، انظر الحاشية السابقة.

(٣) انظر مراصد الاطلاع: ٦٨١، وقال ابن عبدالحق – ونقله عنه الزبيدي–: "وقد قيل: إنه وادٍ ينصبُّ إلى نهر بين آمِدَ وميَّافارقين، ثم يَصُبُّ في دجلةَ"، تاج العروس (الكويت): (ستد).

(٤) الدَّرْب: "ما بين بلاد العرب والعجم". ودَرْبُ الكِلاب: "عند جبل ساتيدما بديار بكر قرب ميَّافارقين، سمّي بذلك لأن قيصر انهزَمَ من أنوشروان بحيلة عملها عليه فأتبعه إياس بن قبيصة بن أبي غُفْر الطائي فأدركهم بساتيدما مرعوبين مفلولين من غير قتال، فقَتلوا قتل الكلاب ونجا قيصر في خواصّ من أصحابه، فسمّي ذلك الموضع بدرب الكلاب لذلك". انظر ديوان امرىء القيس: ٦٥، معجم البلدان ٢: ٥١١ على التوالي.

(٥) الزُّورُ: "نهر يصبُّ في دجلة قرب ميَّافارقين". معجم البلدان ٣: ١٧٧.

(٦) "قمئة" هكذا ورد في معجم البلدان، والصواب – بطبيعة الحال– هو: "قميئة".

وإلـــى مثل هذا ذهب ابن عبد الحق؛ فقال[1]: "وقول الأول إنه جبل بالهند غلـــط"، وكذلك الزبيدي؛ قال[2]: "وقولهم: إنه جبل بالهند غلط". ويعلّق البغدادي علـــى قول العِمرانيّ؛ فيقول[3]: " وممَّا يردّ به على العِمرانيّ في قوله: إنه جبل بالهند لا يعدم ثلجه، أن الهند بلاد حارّة لا يوجد فيها الثلج"[4].

ونضـــيف إلـــى ذلك كلّه أنه ورد في شعر امرىء القيس موضعان أشار إلـــيهما القدمـــاء وهم يتحدثون عن أخباره فيهما، هما: أنْقِرَة، وعَسيب. أمَّا أنقرة فقـــد ذكرنا أن امرأ القيس لمَّا صار إليها في طريق عودته إلى بلاده – من عند قيصـــر– احتضر؛ فقال: * رُبَّ خُطْبةٍ مُسْحَنْفِرَة * وأنقرة هي كما ذكر البكري فـــي خـــبر ينسبه إلى عمر بن شَبَّة "موضع بظهر الكوفة، أسفل من الخَوَرْنَق، كانت إياد تنزله في الدهر الأول، إذا[5] غلبوا على ما بين الكوفة والبصرة، وفيه اليومَ طيّيءٌ وسَلِيح، وفي بارق إلى هِيتَ وما يليها، كلُّها منازل طيِّيءٍ وسَلِيح... وقال غيره: أنقرة: موضع بالحيرة، قال الأسود بن يَعْفُر[6]:

مـــاذا أُؤَمِّـــلُ بَعْـــدَ آلِ مُحَـــرِّقٍ تَـــرَكُوا مَـــنازِلَهُمْ وبَعْـــدَ إيَـــادِ
أهْـــلِ الخَوَرْنَـــقِ والسَّـــدِيرِ وبارِقٍ والقَصْـــرِ ذِي الشُّـــرُفاتِ مِنْ سِنْدَادِ
حَلُّـــوا بأَنْقِـــرَةٍ يَسِـــيلُ عَلَـــيْهِمُ مـــاءُ الفُـــراتِ يَجِـــيءُ مِنْ أَطْوَادِ

---

(١) مراصد الاطلاع: ٦٨١.

(٢) تاج العروس (الكويت): (ستد).

(٣) خزانة الأدب ٤: ٤١١.

(٤) هذا من أوهام القدماء، لأن الثلج يغطي رؤوس الجبال العالية في الجبال الاستوائية.

(٥) هكذا في النص، والأرجح أنها "إذ".

(٦) ديوان الأسود: ٢٦-٢٧، ويُرْوَى: "نَزَلُوا بأَنْقِرةٍ".

... وقال عمر بن شبَّة: قال هشام بن الكلبيّ: قال لي داود بن عليّ بن عبد الله بن عباس: قد رأيتُ أنقرة التي بالروم، وبينها وبين الفُرات مَسيرة عشرة أيام، فكيف يسيل عليها ماؤه؟ وأنقرةُ التي ذكر داود موضع آخر ببلاد الروم، وهي التي مات فيها امرؤ القيس مُنْصَرَفه عن قيصر..." (١). ويقف ياقوت عند أنقرة التي وردت في شعر الأسود؛ فيقول(٢): "وقد ذكر بعض العلماء أن أنقرة التي في شعر الأسود هي أنقرة التي ببلاد الروم، نزلَتْها إيادٌ لما نَفَاهم كسرى عن بلاده، وهذا حسن بالغ ولا أرى الصواب إلا هذا القول". ويؤيد قول داود بن علي وكذلك قول ياقوت إن امرأ القيس عَنَى بأنقرة التي وردت في شعره: أنقرة التي ببلاد الروم(٣)، ولهذا الشعر خبر مرتبط به -كما أسلفنا-.

وأما عسيب الذي ورد ذكره في شعر آخر لامرىء القيس، كان قاله لما رأى قبر امرأة من بنات ملوك الروم دفنت في سفح هذا الجبل؛ فيقول فيه ياقوت(٤): "وله ذكر في أخبار امرىء القيس حيث قال:

أجارتَنا إنَّ الخُطُوبَ تَنُوبُ ... وإنِّي مُقِيمٌ ما أقامَ عَسِيبُ
أجارتَنا إنَّا غَرِيبانِ ههنا ... وكُلُّ غَرِيبٍ للغَرِيبِ نَسِيبُ

---

(١) معجم ما استعجم: ٢٠٣-٢٠٤، وانظر معجم البلدان ١: ٣٢٣.
(٢) معجم البلدان ١: ٣٢٣.
(٣) وممن ذكر أيضاً أن "أنقرة" ببلاد الروم: الأصمعي في ديوان امرىء القيس: ٧، وابن قتيبة في الشعر والشعراء: ٦٣، واليعقوبي في تاريخه ١: ٢٢٠، وابن الأثير في الكامل في التاريخ ١: ٥١٩، وابن سعيد في نشوة الطرب ١: ٢٥٢.
(٤) معجم البلدان ٤: ١٤١.

وامـــرؤ القـــيس بالإجمـــاع مات مسموماً بأنقرة في طريق بلد الروم". وقال ابن قتيـــبة بعد أن استشهد بهذين البيتين[1]: "وعسيب: جبل هناك" أي في أنقرة التي في بلاد الروم.

فـــإذا كانت أقوال العلماء في تعيين موقع "ساتيدما" و "أنقرة" و "عسيب" قد دلّـــت دلالة قاطعة على أن رحلة امرىء القيس كانت إلى قيصر في بلاد الروم – حيث اتّجه إلى الغرب وليس إلى الشرق إلى الهند– فإن الذين ذهبوا منهم إلى غير ذلك قد أخطأوا أو وهِمُوا وجانبوا الصواب، وربّما كان قول محمد بن سهل إن جـــبل "ســـاتيدما" يحـــيط بالكوفـــة، وقـــول ابن الكلبي إن "الطُّور" بين دجلة وســـاتيدما[2] نابِعَيْن من قول الذين قالوا[3]: إن ساتيدما "واد ينصبّ إلى نهر بين آمِـــدَ وميَّافارقين، ثم يصب في دجلة" – ونقول: "ربما" لأنه ينقصنا الدليل المادي القـــاطع لإثبات ذلك – وذلك بالنظر إلى بداية مصبّ هذا النهر، الذي أشير إليه بأنـــه بين آمِدَ وميَّافارقين، وإلى نهاية مصبّه، إذ يوجد بُعْد مكاني كبير بين بداية مصـــبّه فـــي بلاد الروم، وبين نهاية مصبّه في دجلة، وقد ألمح البكري إلى هذا البعد المكاني في رسم أنقرة، كما بيّنّا سابقاً.

وما يجري على هذين القولين من حكم يجري على ما ورد في شعر يزيد ابـــن مفـــرغ الحميري من مواضع توزّعت على نحو متقارب من بعضها بعضاً بين الحيرة والشام وبغداد، بحيث يفهم منه أن "ساتيدما" الذي ورد فيه لا يبعد أن يكون قريباً من إحدى هذه المواضع؛ يقول[4]:

---

(١) الشعر والشعراء: ٦٣.

(٢) وهذا يتعين أن يكون "ساتيدما" قريباً من دجلة في أرض العراق.

(٣) منهم: ابن عبدالحقّ في مراصد الاطلاع: ٦٨١ كما سبق ذكره، وانظر المصادر الأخرى في ذلك الموضع.

(٤) شعر ابن مفرغ: ١٢٢.

فَدَيْـرُ سَـوَى فَساتِيدَا فَبُصْرَى فَحُلْـوانُ المَخافَـةِ فالجِـبالُ[1]

وكذلك ربما كان قول عمر بن شبَّة في أن "أنقرة" بظهر الكوفة، راجع إلى أنـه قد خلط بين "أنقرة" التي في هذا الموضع، وبين "أنقرة" التي في بلاد الروم لتشابه الاسمين. وأما قول غيره من العلماء إنها "بالحيرة"[2] فقد أوضحنا صواب هذا الرأي عن ياقوت.

* * *

إن مـا سـبق كـان وصفاً لرحلة امرىء القيس بن حُجْر إلى قيصر ملك الـروم، وللوجهة التي سلكها شاعرنا في سفره هذا، وهو وصف اقتضى الحديث فيه أن نفصّل القول في ثلاثة محاور تفصيلاً يتّسق فيها جميعها من حيث الفكرة والهـدف، وبحيث يفضي المحور الأول إلى المحور الثاني، والمحور الثاني إلى المحـور الثالث، ويتمّ الثاني بالأول ويستكمل به، ويتّضح الثالث بالثاني ويحتاج إليه. حتى إذا انتهينا من وصف الرحلة على هذا النحو وجدنا أن امرأ القيس أخذ يستجير بالقبائل العربية – في داخل الجزيرة العربية واليمن– يطلب منها العَوْن والمَـدَد على بني أسد قَتَلة أبيه، فلمَّا خذلته ولم تُجِرْه قرّر الذهاب إلى القيصر؛

---

(١) في معجم البلدان ٢: ٥٨٧: "دَيْرُ السَّوَا: بظاهر الحيرة".
بُصْـرى: "بالشـام من أعمال دمشق، وهي قصبة كورة حَوْران، مشهورة عند العرب قديماً وحديثاً، ذكرها كثير في أشعارهم". (المصدر السابق ١: ٥٢٢).
حُلْوان: "في آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد". (المصدر السابق ٢: ٣٣٤).
الجـبال: "جمع جَبَل اسم علم للبلاد المعروفة... باصطلاح العجم بالعراق، وهي ما بين أصـبهان إلى زنجان وقزوين وهمذان والدينَورَ وقرميسين والرَّيّ وما بين ذلك من البلاد الجليلة والكُوَر العظيمة". (المصدر السابق ٢: ١١٥).
(٢) في المصدر السابق: "موضع بنواحي الحيرة".

فســار إلى الشمال مارّاً بالديار الشامية حتى بلغ شَيْزَر، ومنها تابع سيره متنقِّلاً في هذه البلاد، ثم اتّجه إلى الغرب إلى أن وصل إلى القسطنطينية- وإن لم تذكر الــروايات العربية، وكذلك شعر امرىء القيس، الأماكن التي مرَّ بها هذا الشاعر بعــد أن جاوز شيزر في الشام إلى أن وصل إلى بلاد الروم- ومسار الرحلة من مبدئها في جزيرة العرب إلى منتهاها إلى القسطنطينية يؤكده الرواة والإخباريون العرب كما سبق أن ذكرنا.

ولكن نجد بعض المؤرخين المحدثين يشكّون في أمر هذه الرحلة، ويَرَوْن أن قصــة ذهاب امرىء القيس إلى عاصمة الروم هي من وضع الرواة وابتكار القصّاصــين؛ من هؤلاء جرجي زيدان يقول عن هذه القصة معرباً عن رأيه[1]: "... ومــن الثابت أن امرأ القيس بعد أن يئس من نصر العرب اتّجه ببصره إلى امبراطور الروم، وسار نحو الشمال حتى بلغ شيزر، ولا نعرف كيف وصل إلى القســطنطينية، بــل لا نستطيع القطع بأنه وصل إليها أصلاً. أمَّا ما يؤكده الرواة فــي هــذا الموضوع فمعظمه موضوع، وقد يكون الأمر قد اختلط عليهم، فاسم امــرىء القيس كان شائعاً بين العرب إذ ذاك، حتى إن فلهاوزن عدّ خمسة عشر شــاعراً كل منهم يسمّى امرأ القيس، ثم إن شيوخ القبائل العربية كانوا يتردّدون علــى بــلاد القســطنطينية مستنصرين بالروم، فلا يبعد أن الرواة والقصّاصين ابتكروا قصة ذهاب امرىء القيس إلى عاصمة الروم".

وقد أقام جرجي زيدان رأيه هذا على الأخبار التي رواها جواد علي عن المستشرقين البيزنطيين، فقد روى خبراً وجده عند المؤرخ البيزنطي "بروكوبيوس"؛ يقول فيه: إن رجلاً من أبناء الأشراف ورؤساء القبائل واسمه قيس Kaisus قتل أحد أقارب السميفع Esimiphaeus ملك حمير، وفرَّ إلى

---

(١) العرب قبل الإسلام: ٢٤٦ (الحاشية).

البادية، فتوسط له القيصر وطلب إلى السميفع – بواسطة رسول أرسله إليه يدعى يوليانوس Julianus– تنصيبه رئيساً على معدّ Maddeni وعلى الأعراب، وقد كانت سفارة يوليانوس إلى الحميريين قبل موت قُبَاذ[١] أي قبل سنة ٥٣١ م[٢]. وذكر أنه "ليس في هذا الخبر ما يفيد قيام ثورة على والده ومقتله. وفي الخبر إشارة إلى شجاعة قيس وكفاءته وحزمه، لهذه الأسباب رغب القيصر على ما يظهر في تعيينه رئيساً على معد"[٣].

وروى أيضاً خبراً عن المؤرخ نونوسوس[٤] Nonnosus– نقله من مقالة للأب لويس شيخو اليسوعي[٥] – أنّ القيصر يوستينيانُس كلف نونوسوس الذهاب في سفارة إلى قيس Kaisus حفيد الحارث[٦] Arʿetas ورئيس قبيلتين عظيمتين من قبائل العرب (السرسينوى Saracynoi) هما كندة Kindynoi ومعدّ Maadynoi لمواجهته ودعوته إلى المجيء معه إلى الامبراطور إن أمكنه ذلك، فذهب نونوسوس إليه، ونفّذ أوامر القيصر، وعاد سالماً إلى بلده[٧]. وذكر أنه سبق أن كلّف أباه – أبا نونوسوس– وهو إبراهيم أن يذهب إلى قيس لعقد

---

(١) قُباذ بن فيروز.

(٢) تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٦٥، وانظر امرؤ القيس منتخبات شعرية: ٣٩٢-٣٩٣، العرب قبل الإسلام: ٢٤٦ (الحاشية).

(٣) تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٦٥.

(٤) في المقالة المذكورة تالياً: نُنّوز.

(٥) بعنوان: "مزدكية امرىء القيس الشاعر الجاهلي"، المشرق، السنة الثامنة، العدد ٢١، ١ تشرين الثاني، ١٩٠٥م، ص: ٩٩٨-١٠٠٦.

(٦) الحارث بن عمرو.

(٧) المشرق: ١٠٠٥، وانظر تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٦٦، العرب قبل الإسلام: ٢٤٦-٢٤٧ (الحاشية).

معـــاهدة معـــه، وقد تمكّن من ذلك وأخذ معه ابنه معاوية[1] إلى بيزنطة ليكون رهيـــنة عـــند يوســـتينيانس. وكلّف إبراهيم مرّة ثانية أن يذهب إلى قيس بمهمّة سياســـية أخرى، فذهب إليه، وأقنعه بالقدوم إلى بوزنطية فقسم قيس ولايته على القـــبائل بيـــن أخويـــه يزيد Jezidos وعمرو Aumros[2]، ونال من الامبراطور ولاية فلسطين، وجاء معه بعدد لا يحصى من مرؤوسيه[3].

ويروي جواد علي أخباراً أخرى من هذا القبيل تدل في جملتها على سفارة رســـل القياصرة إلى رؤساء القبائل العربية وزعمائها، لعقد المعاهدات معهم أو لمفاوضتهم في بعض الأمور السياسية، وعلى تردّد هؤلاء الزعماء العرب على بلاد الروم، بحيث دعت هذه الروايات جميعها جرجي زيدان إلى أن يخلص في شـــكّه إلـــى القـــول[4]: "فلعلّ ذلك كلّه هو الأصل الذي نشأت عنه قصة ذهاب امرىء القيس إلى بيزنطة ووشاية الناس به وسمّه على يد الامبراطور".

وليس في ما ذكره هذان المستشرقان من أخبار تتعلق برجل اسمه قيس يجعلنا نشكّ – بعد كل الذي عرضنا له وتوصلنا إليه– في رحلة امرىء القيس إلى بيزنطة ومقابلته القيصر، وأن نذهب في شكّنا إلى ما ذهب إليه بعض المؤرخين العرب وننعتها بالوضع والابتكار، خاصة أنه لا يوجد بين أيدينا دليل يثبت أن "قيساً" عندهما هو امرؤ القيس الشاعر، وأن تردّد زعماء القبائل على

---

(١) أي ابن قيس.

(٢) أمـــا يـــزيد فهـــو ابن عمّه معاوية بن الحارث، وقد ذكرنا طرفاً من أخباره مع امرىء القيس، وأما عمرو فلم نسمع به.

(٣) المشـــرق: ١٠٠٥، وانظـــر امرؤ القيس منتخبات شعرية: ٣٩٢، ٣٩٣، أمير الشعر في العصـــر القديـــم: ٢٩٤، تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٦٦، شعراء النصرانية ١: ٣٥، الشوامخ امرؤ القيس: ١٧.

(٤) العرب قبل الإسلام: ٢٤٧ (الحاشية).

بلاد الروم يدخل في دائرة الحقيقة في حين لا تُعَدُّ رحلة امرىء القيس كذلك، ونحن نجد أحداثها تتردّد في شعره، وترتبط بها أكثر من قصيدة ومقطوعة موثقة الرواية على ما عرضنا له قبل قليل. بل إنه يصعب علينا التصديق أن تواريخ العرب والروايات العربية أضربت أو تجاهلت أو لم تهتمّ برواية مثل هذه الأخبار التي وردت في تواريخ الروم – إن صحّت– لشاعر معروف ذائع الصيت وقتئذٍ! ولعلّ في ردّ جواد علي على هذين المستشرِقَيْن مقنعاً لكل من شك في قصة ذهاب امرىء القيس إلى القيصر نختم به حديثنا في هذا الموضوع؛ يقول[1]: "وليس في الذي أورده بروكوبيوس أو نونوسوس، ما يثبت أن قيساً هو امرؤ القيس. ومجرد تشابه الاسمين لا يمكن أن يكون حجة على أنهما لمسمّى واحد. ثم إن ما ذكره نونوسوس من أن قيساً كان رئيساً على قبيلتي كندة ومعدّ لا يكون دليلاً على أنه كان حتماً من كندة، أو أنه كان حتماً امرأ القيس الشاعر الذي يعرفه الإخباريون. وقد رأيت أن نونوسوس أوصل صاحبنا قيساً إلى بلاط القيصر، وأعاده إلى بلاده مكرَّماً محترماً بحاشية كثيرة العدد وافرة العدّة، وجعل له مدّة حكم طويلة، وعيّنه والياً على فلسطين. أما أصحابنا الإخباريون، فجعلوا صاحبهم امرأ القيس رجلاً طريداً شريداً، يتنقّل بين القبائل ملتجئاً إليها، طمعاً في الأخذ بالثأر من قتلة أبيه وفي الأمن والسلامة من الذين يتعقبون أثره يبغون قتله. ثم إنهم لم يكتفوا بكل ذلك، فأوصلوه إلى بلاط قيصر الروم، وقالوا إنه استقبل هناك بما كان ينبغي من الاحترام والإكرام، ولكنهم عادوا فذكروا أن القيصر ندم على ما صنع، وهمّ به أمراً، ثم أماتوه، وقبضوا روحه ودفنوه غريباً بأنقرة في جانب قبر غريبة...

ومن يستطيع إثبات أن امرأ القيس كان هو الرجل الوحيد الذي عرف بهذا الاسم، حتى نقول إن قيساً هو امرؤ القيس حتماً..."؟

---

(١) تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٦٦-٢٦٧.

المصادر والمراجع

- الأزمنة والأمكنة، المرزوقي، أبو علي، أحمد بن محمد بن الحسن (ت ٤٢١هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٣٣٢هـ = -١٩٥م.
- الأصنام، ابن الكلبي، هشام بن محمد بن السائب (ت٢٠٤هـ)، تحقيق محمد عبد القادر أحمد وأحمد محمد عبيد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
- الأغاني، الأصفهاني، أبو الفرج، علي بن الحسين (ت٣٥٦هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- امرؤ القيس، سليم الجندي، مكتب النشر العربي، دمشق، ١٩٣٦م.
- امرؤ القيس حياته وشعره، الطاهر أحمد مكي، ط٦، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٣م.
- امرؤ القيس شاعر المرأة والطبيعة، إيليا حاوي، ط٢، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨١م.
- امرؤ القيس الملك الضلّيل، محمد رضا مروّة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ = ١٩٩٠م.
- امرؤ القيس منتخبات شعرية، فؤاد أفرام البستاني، ط٥، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٨م.
- امرؤ القيس يقف على المسرح، محمد عبد اللطيف أبو صوفة، ط١، دار الحافظ للنشر والتوزيع، عَمّان، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م.

- أمير الشعر في العصر القديم امرؤ القيس، محمد صالح سمك، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٧٤م.
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، ابن الأنباري، كمال الدين، أبو البركات، عبدالرحمن بن محمد بن أبي سعيد (ت ٥٧٧هـ)، ط٤، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٣٨٠هـ= ١٩٦١م.
- البداية والنهاية، ابن كثير، عماد الدين، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق أحمد أبو ملحم وآخرين، ط٥، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م.
- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، محمود شكري الآلوسي، شرح وتصحيح وضبط محمد بهجة الأثري، ط٣، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٣٤٢هـ = ١٩٢٣م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي، محبّ الدين، أبو الفيض، محمد بن محمد بن محمد (ت١٢٠٥هـ)، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، ١٣٨٦هـ = ١٩٦٦م.

وطبعة أخرى بتحقيق عبدالستار أحمد فرّاج وآخرين، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، ١٣٨٥هـ - ١٣٩٥هـ = ١٩٦٥م - ١٩٧٥م.

- تاريخ آداب اللغة العربية، جرجي زيدان، تعليق شوقي ضيف، دار الهلال، القاهرة، ١٩٥٧م.
- تاريخ الأدب العربي، ريجيس بلاشير، ترجمة إبراهيم الكيلاني، ط٢، دار الفكر، دمشق، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م.

- تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، ترجمة عبدالحليم النجّار وآخرين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣م.
- تـاريخ ابـن خلـدون، ابـن خلـدون، أبو زيد، عبدالرحمن بن محمـد (ت ٨٠٨هـ)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٥٦م.
- تـاريخ الطـبري، الطـبري، أبو جعفر، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)، تحقـيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار سويدان، بيروت، ١٣٨٧هـ = ١٩٦٧م.
- تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٣٧٢هـ = ١٩٥٣م.
- تـاريخ اليعقوبي، اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت ٢٩٢هـ)، دار صادر ودار بيروت، بيروت، ١٣٧٩هـ = ١٩٦٠م.
- تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب، الأعلم الشـنتمري، أبـو الحجاج، يوسف بن سليمان بن عيسى (ت ٤٧٦هـ)، في حاشـية الكـتاب لسيبويه، ط١، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق، القاهرة، ١٣١٦هـ - ١٣١٧هـ.
- تقويـم الـبلدان، أبو الفداء، عماد الدين، إسماعيل بن علي (ت ٧٣٢هـ)، تصـحيح ريـنود وماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٥٠م.
- التكملة، الصَّغاني، رضي الدين، الحسن بن محمد بن الحسن (ت ٦٥٠هـ)، تحقيق عبدالعليم الطحاوي وآخرين، دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٠م-١٩٧٩م.

- خـــزانة الأدب، عـــبدالقادر بـــن عمـــر (ت ١٠٩٣هـــ)، تحقيق وشرح عبدالســـلام هـــارون، ط ١-٢، الهيـــئة المصرية العامة للكتاب، ومكتبة الخانجي، القاهرة، ودار الرفاعي، الرياض، ١٩٧٩م-١٩٨٦م.
- دائـــرة المعـــارف الإسلامية، النسخة العربية إعداد وتحرير إبراهيم زكي خورشيد وآخرين، ط٢، دار الشعب، القاهرة، ١٩٦٩م.
- ديوان أبي نواس، دار صادر ودار بيروت، بيروت، ١٣٨٢هـــ = ١٩٦٢م.
- ديـــوان الأســـود بـــن يعفر، تحقيق نوري حمودي القيسي، مديرية الثقافة العامة، بغداد، ١٣٩٠هـــ = ١٩٧٠م.
- ديـــوان الأعشـــى الكبير ميمون بن قيس، شرح وتعليق م. محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز، الإسكندرية.
- ديـــوان امـــرىء القـــيس، تحقـــيق محمـــد أبو الفضل إبراهيم، ط٥، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٠م.
- ديـــوان البحـــتري، تحقـــيق وشرح حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣م - ١٩٦٤م.
- ديـــوان الخنســـاء، تحقـــيق أنـــور أبـــو سويلم، ط١، دار عمَّار، عمَّان، ١٤٠٩هـــ = ١٩٨٨م.
- ديـــوان عبـــيد بـــن الأبرص، تحقيق وشرح حسين نصار، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط١، القاهرة، ١٣٧٧هـــ = ١٩٥٧م.
- ديـــوان عمـــرو بـــن قميـــئة، تحقـــيق حســـن كامل الصيرفي، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الحادي عشر، القاهرة، ١٣٨٥هـــ = ١٩٦٥م.

- الزينة في الشعر الجاهلي: التزيّن بالحلي، يحيى الجبوري، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة قطر، العدد الرابع، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م.
- الزينة في الشعر الجاهلي: زينة الطيب والعطور، يحيى الجبوري، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة قطر، العدد السادس، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.
- شرح أبيات سيبويه، السيرافي، أبو محمد، يوسف بن أبي سعيد (ت ٣٨٥هـ)، تحقيق محمد علي سلطاني، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٣٩٦هـ = ١٩٧٦م.
- شرح ديوان امرىء القيس، حسن السندوبي، ط٤، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٣٧٨هـ = ١٩٥٩م.
- شعر السموأل، تحقيق وشرح عيسى سابا، مكتبة صادر، بيروت، ١٩٥١م.
- شعر ابن مفرّغ الحميري، جمع وتقديم داود سلوم، مكتبة الأندلس، بغداد، ١٩٦٨م.
- الشعر والشعراء، ابن قتيبة، أبو محمد، عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ)، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٤م.
- شعراء النصرانية، لويس شيخو اليسوعي، ط٢، دار المشرق، بيروت، ١٩٦٧م.
- الشوامخ: امرؤ القيس درس وتحليل، محمد صبري، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٤٤م.

- الصحاح، الجوهري، أبو نصر، إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق أحمد عبدالغفور عطَّار، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م.
- طبقات فحول الشعراء، ابن سلاّم الجمحي، أبو عبد الله، محمد بن سلام (ت ٢٣١هـ)، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٧٤م.
- العرب قبل الإسلام، جرجي زيدان، مراجعة وتعليق حسين مؤنس، دار الهلال، القاهرة، -١٩م.
- العرب قبل الإسلام، حسين الشيخ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٣م.
- العقد الثمين، المطبعة اللبنانية، بيروت، ١٨٨٦م.
- علاء الدين ومسرحيته الشعرية: امرؤ القيس بن حُجْر، تحقيق وتعليق محمد أبو صوفة، ط١، د.ن، عمَّان، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م.
- فحولة الشعراء، الأصمعي، أبو سعيد، عبدالملك بن قُرَيْب (ت ٢١٦هـ)، تحقيق ش. تورّي، ط١، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٣٨٩هـ = ١٩٧١م.
- فُرحة الأديب، الأسود الغُنْدِجاني، أبو محمد، الحسن بن أحمد الأعرابي (ت بعد ٤٣٠هـ)، تحقيق محمد علي سلطاني، دار قتيبة ودار النبراس، دمشق، ١٤٠١هـ = ١٩٨١م.
- فِصَل المقال في شرح كتاب الأمثال، البكري، أبو عبيد، عبد الله بن عبدالعزيز (ت ٤٨٧هـ)، تحقيق إحسان عباس وعبدالمجيد عابدين، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م.

- القاموس المحيط، الفيروزآبادي، مجدالدين، محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ)، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م.
- قراءة ثانية في شعر امرىء القيس، محمد عبدالمطلب، ط١، مكتبة لبنان، بيروت والشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان، القاهرة، ١٩٩٦م.
- الكامل في التاريخ، ابن الأثير، عزّالدين، أبو الحسن، علي بن محمد (ت ٦٣٠هـ)، دار صادر ودار بيروت، بيروت، ١٣٨٥هـ = ١٩٦٥م.
- لسان العرب، ابن منظور، أبو الفضل، محمد بن مُكَرَّم (ت ٧١١هـ)، ط١، دار صادر، بيروت.
- مجلس المرأة وزينتها في العصر الجاهلي، ليلى العمري، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، عمّان، ١٩٩٥م.
- مجمع الأمثال، الميداني، أبو الفضل، أحمد بن محمد بن أحمد (ت ٥١٨هـ)، تعليق نعيم حسين زرزور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨م.
- المحبّر، ابن حبيب، محمد بن حبيب (ت ٢٤٥هـ)، تصحيح إيلزه ليختن شتيتر، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن، الهند، ١٣٦١هـ = ١٩٤٢م.
- المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء، عمادالدين، إسماعيل بن علي (ت ٧٣٢هـ)، ط١، المطبعة الحسينية، القاهرة.

- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ابن عبدالحق، صفي الدين، عبدالمؤمن بن عبدالحق (ت٧٣٩هـ)، تحقيق وتعليق علي محمد البجاوي، ط١، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٤م – ١٩٥٥م.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، جلال الدين، عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد (ت ٩١١هـ)، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين، دار الفكر، القاهرة.
- المستشرقون والشعر الجاهلي بين الشك والتوثيق، يحيى الجبوري، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٧م.
- المستقصى في أمثال العرب، الزمخشري، جارالله، أبو القاسم، محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ)، تصحيح محمد عبدالرحمن خان، ط١، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن، الهند، ١٣٨١هـ = ١٩٦٢م.
- المشرق، السنة الثامنة، العدد ٢١، ١ تشرين الثاني، بيروت، سنة ١٩٠٥م.
- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، العباسي، عبدالرحيم بن أحمد (ت ٩٦٣هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٣٦٧هـ = ١٩٤٨م.
- معجم البلدان، ياقوت الحموي، شهاب الدين، أبو عبد الله، ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ)، تحقيق فريد عبدالعزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م.
- معجم الشعراء، المرزباني، أبو عبيدالله، محمد بن عمران بن موسى (ت ٣٨٤هـ)، تحقيق عبدالستار أحمد فرّاج، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٧٩هـ = ١٩٦٠م.

- معجم ما استعجم، البكري، أبو عبيد، عبد الله بن عبدالعزيز (ت ٤٨٧هـ)، تحقيق مصطفى السقّا، عالم الكتب، بيروت.
- الملك الضّلّيل امرؤ القيس، محمد فريد أبو حديد، ط٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٦م.
- المؤتلف والمختلف، الآمدي، أبو القاسم، الحسن بن بشر (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق عبدالستار أحمد فرّاج، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٨١هـ = ١٩٦١م.
- الموشّح، المرزباني، أبو عبيدالله، محمد بن عمران بن موسى (ت ٣٨٤هـ)، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، ١٣٨٥هـ.
- نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ابن سعيد الأندلسي، أبو الحسن، علي بن موسى بن محمد (ت ٦٨٥هـ)، تحقيق نصرت عبدالرحمن، ط١، مكتبة الأقصى، عمّان، ١٩٨٢م.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المقّري التلمساني، شهاب الدين، أبو العباس، أحمد بن محمد بن أحمد (ت ١٠٤١هـ)، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٤١٠هـ = ١٩٨٨م-١٩٩٠م.